Conference Proceedings: Enhancing the Role of Islamic, Social, and Human Studies in Building Society, Volume 23, July 2026.

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

التحديات الفكرية المعاصرة وأثرها في الهوية الدينية للشباب

ا.م.د. صفا غانم إبراهيم

كلية الامام الأعظم/ قسم أصول الدين بنات

ا.م.د. زيد غانم ابراهيم حمودي

دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

Contemporary intellectual challenges and their impact on the religious identity of youth

Assistant Professor Dr. Safa Ghanem Ibrahim
College of Imam Al-Azam – Department of Fundamentals of Religion (Female Section)
Assistant Professor Dr. Zaid Ghanem Ibrahim Hamoudi
Department of Religious Education and Islamic Studies

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التحديات الفكرية المعاصرة وأثرها في الهوية الدينية للشباب، بوصفها من أبرز القضايا التي تشغل الفكر التربوي والديني في العصر الراهن، وينطلق البحث من فرضية مفادها أن التحولات الفكرية والثقافية المتسارعة، وما أفرزته العولمة الرقمية من انفتاح معرفي غير مسبوق، أسهمت في بروز أنماط جديدة من التحديات التي تستهدف المنظومة القيمية والعقدية للشباب، مما انعكس بدرجات متفاوتة على مستوى الانتماء الديني والوعي بالهوية، واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي لرصد أهم هذه التحديات وبيان آثارها الفكرية والسلوكية والاجتماعية، مع استقراء أبرز الآليات الكفيلة بتعزيز الهوية الدينية في مواجهة المؤثرات الفكرية المعاصرة، وتوصل البحث إلى إنَّ المحافظة على الهوية الدينية لا تتحقق بمجرد التمسك بالموروث في ظل المتغيرات المتسارعة

.الكلمات المفتاحية: الهوية الدينية، الشباب، التحديات الفكرية المعاصرة، العولمة الثقافية، الوعي الفكري.

Abstract:

This research examines contemporary intellectual challenges and their impact on the religious identity of youth, considering this issue one of the most significant concerns in contemporary educational and religious discourse. The study is based on the assumption that rapid intellectual and cultural transformations, together with the unprecedented openness generated by digital globalization, have created new forms of challenges targeting the value and belief systems of young people, thereby affecting their sense of religious belonging and identity awareness .**Keywords:** Religious Identity, Youth, Contemporary Intellectual Challenges, Cultural

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل الدين هداية للإنسان، وأقام به منظومة القيم التي تحفظ للفرد هويته وللمجتمع تماسكه واستقراره، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد:فإنَّ الهوية الدينية تمثل أحد أهم المرتكزات المؤسسة لشخصية الإنسان، إذ تشكل الإطار المرجعي الذي يوجه أفكاره وسلوكه وقيمه، ويمنحه الشعور بالانتماء والاستقرار الفكري والنفسي، وقد شهد العالم المعاصر تحولات فكرية وثقافية متسارعة أفرزتها الثورة الرقمية والانفتاح الإعلامي والعولمة الثقافية، الأمر الذي أدى إلى ظهور تحديات فكرية جديدة تجاوزت الحدود الجغرافية والثقافية، وأصبحت تستهدف بصورة مباشرة فئة الشباب بوصفها الفئة الأكثر تفاعلاً مع المتغيرات المعرفية

والتقنية.وفي ظل هذا الواقع المتغير برزت إشكالية المحافظة على الهوية الدينية للشباب أمام موجات التشكيك الفكري والنزعات المادية والثقافات الوافدة التي تسعى إلى إعادة تشكيل المفاهيم والقيم والمرجعيات الفكرية، ومن هنا تبرز أهمية دراسة التحديات الفكرية المعاصرة وآثارها في الهوية الدينية للشباب؛ لما لهذا الموضوع من أبعاد عقدية وتربوية واجتماعية تتصل بمستقبل المجتمعات واستقرارها الثقافي والحضاري.

أولاً: أهمية الموضوع

تتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج قضية فكرية معاصرة ترتبط بحماية الهوية الدينية للشباب في ظل التحولات العالمية المتسارعة، كما يسهم في الكشف عن طبيعة التحديات الفكرية المؤثرة في منظومة القيم والاعتقاد، ويقدم رؤية علمية تساعد المؤسسات التربوية والدينية والثقافية على بناء استراتيجيات فاعلة لتعزيز الانتماء الديني وترسيخ الوعي الفكري لدى الشباب.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

١. تنامي التحديات الفكرية المعاصرة وتأثيرها المباشر في توجهات الشباب وقناعاتهم.
٢. اتساع دور وسائل الإعلام الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي في تشكيل الوعي والاتجاهات الفكرية.
٣. الحاجة إلى دراسة علمية تسلط الضوء على العلاقة بين التحديات الفكرية والهوية الدينية للشباب.
٤. أهمية فئة الشباب بوصفها الركيزة الأساسية في بناء المجتمع وصناعة مستقبله.
٥. الإسهام في تقديم معالجات علمية ومقترحات عملية تسهم في تعزيز الهوية الدينية ومواجهة التحديات الفكرية المستجدة.

ثالثاً: فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن التحديات الفكرية المعاصرة، بما تتضمنه من أنساق ثقافية ومعرفية وقيمية متغيرة، تؤثر بدرجات متفاوتة في الهوية الدينية للشباب، وأن تعزيز الوعي الفكري وترسيخ المرجعية الدينية الوسطية يسهمان في الحد من آثار هذه التحديات والمحافظة على الهوية الدينية في ظل المتغيرات المعاصرة.

رابعاً: هيكلية البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين رئيسين**المبحث الأول: التحديات الفكرية المعاصرة الموجهة للشباب** ويتضمن ثلاثة مطالب:المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للتحديات الفكرية والهوية الدينية.المطلب الثاني: أبرز التحديات الفكرية المعاصرة المؤثرة في الشباب.المطلب الثالث: وسائل انتشار التحديات الفكرية في أوساط الشباب.**المبحث الثاني: أثر التحديات الفكرية في الهوية الدينية للشباب وسبل مواجهتها** ويتضمن ثلاثة مطالب:المطلب الأول: الآثار الفكرية والعقدية للتحديات المعاصرة.المطلب الثاني: الآثار السلوكية والاجتماعية المترتبة على تراجع الهوية الدينية.المطلب الثالث: آليات تعزيز الهوية الدينية ومواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.ثم خُتم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها، وأبرز التوصيات والمقترحات التي يمكن الإفادة منها في تعزيز الهوية الدينية للشباب ومواجهة التحديات الفكرية الراهنة.

المبحث الأول: التحديات الفكرية المعاصرة الموجّهة للشباب

المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للتحديات الفكرية والهوية الدينية

أولاً: مفهوم التحديات الفكرية

يُعدُّ تحديد المفاهيم العلمية مدخلاً أساسياً لفهم الظواهر المعاصرة وتحليلها؛ إذ لا يمكن الوقوف على طبيعة التحديات الفكرية وآثارها إلا بعد بيان مدلولها اللغوي والاصطلاحي.

فالتحديات في اللغة: مأخوذة من مادة (حَدَا)، وتدل على المنازعة والمغالبة والمبارزة، ويُقال: تحدَّاه إذا باراه ونازعه وأراد غلبته[١]، أمّا الفكر فهو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول أو استنباط حقيقة معينة[٢] .

وعليه **فإنَّ التحديات الفكرية تُعرَّف بأنها:** «مجموعة المؤثرات والمذاهب والأفكار والاتجاهات التي تستهدف منظومة الاعتقاد والقيم والثوابت الثقافية للأفراد والمجتمعات، وتسعى إلى إعادة تشكيلها أو التشكيك في مرجعياتها الفكرية والدينية.وقد أفرز العصر الحديث صوراً متعددة من هذه التحديات نتيجة التطور التقني والانفتاح الإعلامي والثورة الرقمية، حتى أصبحت الأفكار تنتقل عبر الحدود دون قيود جغرافية أو ثقافية، الأمر الذي أسهم في بروز اتجاهات فكرية متنوعة تحمل رؤى فلسفية وعقدية متباينة، بعضها يتعارض مع المرجعية الدينية والقيم الحضارية للمجتمعات الإسلامية.[3]ومن أبرز هذه التحديات: النزعات المادية، والعلمانية المتطرفة، والإلحاد الجديد، والنسبية الأخلاقية، والدعوات إلى تمييع الخصوصيات الدينية

والثقافية تحت مظلة العولمة الثقافية[٤].كما إنَّ دراسة تاريخ الأديان والفلسفات تكشف أن كثيراً من الأفكار المعاصرة ليست وليدة العصر الحديث بصورة كاملة، بل تمتد جذورها إلى تيارات فلسفية ودينية قديمة كالغنوصية والأفلاطونية الحديثة وبعض الاتجاهات الباطنية التي أعادت إنتاج نفسها بصور جديدة تتناسب مع التحولات الفكرية المعاصرة[٥].

ثانياً: مفهوم الهوية الدينية

الهوية في اللغة: مشتقة من لفظة «هو» الدالة على حقيقة الشيء وذاته التي يتميز بها عن غيره.[٦]

أما في الإصطلاح: فهي تستعمل للدلالة على مجموعة الخصائص والسمات الجوهرية التي تمنح الفرد أو الجماعة خصوصيتها الثقافية والحضارية.أما الهوية الدينية فهي الإطار العقدي والقيمي والسلوكي الذي يستمد أصوله من الدين، ويحدد رؤية الإنسان للكون والحياة والوجود، ويمنحه شعوراً بالانتماء إلى منظومة إيمانية وأخلاقية متميزة.وتُعد الهوية الدينية في التصور الإسلامي جزءاً أصيلاً من تكوين الإنسان؛ لأنها ترتبط بعلاقته بخالقه وبمرجعيته التشريعية والأخلاقية، وقد أكد القرآن الكريم أهمية المحافظة على هذه الهوية وترسيخها في النفوس، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.[٧]ومن هذا المنطلق فإن الهوية الدينية لا تقتصر على الجانب الاعتقادي فحسب؛ بل تشمل منظومة متكاملة من التصورات والقيم والأحكام والسلوكيات التي تشكل شخصية المسلم وتحدد انتماءه الحضاري والثقافي.[٨]كما تكتسب الهوية الدينية أهمية مضاعفة في عصر العولمة؛ لأنها تمثل عنصر التوازن في مواجهة محاولات التنميط الثقافي وإذابة الخصوصيات الحضارية، وتعمل على حفظ التماسك الفكري والقيمي للأفراد والمجتمعات.[٩]

ثالثاً: خصائص الهوية الدينية لدى الشباب

تتميز الهوية الدينية لدى الشباب بجملة من الخصائص تجعلها أكثر تأثراً بالتحديات الفكرية المعاصرة، وفي الوقت نفسه أكثر قابلية للنمو والتعزيز إذا توافرت البيئة التربوية المناسبة.

١_ القابلية للتشكُّل والتأثر

تُعد مرحلة الشباب من أكثر مراحل العمر حساسية في بناء القناعات الفكرية والاتجاهات السلوكية، إذ تشهد هذه المرحلة تكوين التصورات الكبرى المتعلقة بالدين والحياة والمجتمع، مما يجعل الشباب أكثر تعرضاً للتأثيرات الفكرية الإيجابية والسلبية على حد سواء.

٢_البحث عن المعنى والانتماء

يميل الشباب بطبيعتهم إلى البحث عن إجابات للأسئلة الوجودية الكبرى المتعلقة بالغاية من الحياة ومعنى الوجود ومصير الإنسان، وهو ما يجعل الهوية الدينية عاملاً أساسياً في تحقيق الاستقرار النفسي والفكري لديهم.[١٠]

٣_الارتباط بالقيم والمبادئ

لا تقتصر الهوية الدينية على الجانب العقدي المجرد، بل ترتبط بمنظومة من القيم الأخلاقية والاجتماعية التي توجه السلوك الإنساني، وتسهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على التفاعل الإيجابي مع المجتمع.

٤_التفاعل مع البيئة الرقمية

أصبحت البيئة الرقمية اليوم أحد أهم العوامل المؤثرة في تشكيل هوية الشباب؛ حيث تمثل منصات التواصل الاجتماعي والفضاءات الإلكترونية مصدراً رئيساً للمعرفة والتوجيه الفكري، الأمر الذي جعل الهوية الدينية تواجه اختبارات مستمرة أمام تعدد المرجعيات الفكرية وتنوعها.

٥_قابلية المراجعة وإعادة البناء

من خصائص الهوية الدينية لدى الشباب أنها ليست حالة جامدة، بل تتطور وتتجدد وفقاً للخبرات المعرفية والاجتماعية التي يمر بها الفرد، ولذلك فإن ترسيخها يحتاج إلى خطاب علمي رصين يجمع بين الأصالة الشرعية والوعي بمتغيرات العصر .وخلاصة القول إنّ التحديات الفكرية المعاصرة تمثل اختباراً حقيقياً للهوية الدينية لدى الشباب، وأن فهم طبيعة هذه التحديات ومحددات الهوية الدينية يشكل الأساس العلمي الذي تُبنى عليه الدراسات اللاحقة المتعلقة بآثار تلك التحديات وسبل مواجهتها.

المطلب الثاني: أبرز التحديات الفكرية المعاصرة

شهد العالم خلال العقود الأخيرة تحولات معرفية وثقافية متسارعة أسهمت في إعادة تشكيل المنظومات الفكرية والقيمية للأفراد والمجتمعات، ولم يعد التحدي الذي يواجه الهوية الدينية للشباب مقتصراً على الصراع العسكري أو السياسي، بل أصبح يتمثل بصورة أكبر في الصراع على المرجعيات الفكرية ومصادر المعرفة وأنماط تفسير الوجود والحياة، وقد أفرزت هذه التحولات جملة من التحديات الفكرية التي تمارس تأثيراً مباشراً وغير مباشر

في البناء العقدي والقيمي للشباب، ومن أبرزها العولمة الثقافية، والإلحاد واللاأدرية، والنسبية الفكرية وما صاحبها من تشكيك في الثوابت الدينية والأخلاقية.

أولاً: العولمة الثقافية

تُعد العولمة الثقافية من أكثر الظواهر تأثيراً في تشكيل الوعي الإنساني المعاصر، إذ تجاوزت كونها عملية تواصل حضاري إلى مشروع عالمي يسعى إلى إعادة صياغة المفاهيم والقيم والأنماط السلوكية وفق منظومة ثقافية ذات طابع كوني، وقد ارتبط ظهورها بالتطور الهائل في وسائل الاتصال والثورة الرقمية التي جعلت العالم فضاءً معرفياً مفتوحاً تتدفق فيه الأفكار والصور والرموز الثقافية بصورة غير مسبوقة.ويُقصد بالعولمة الثقافية عملية نشر منظومة ثقافية عالمية تتجاوز الخصوصيات المحلية والدينية والقومية، وتسعى إلى إيجاد نمط فكري وسلوكي موحد يقوم على مركزية النموذج الحضاري الغربي بوصفه النموذج الأقدر على قيادة العالم المعاصر[١١] ولا تكمن خطورة العولمة الثقافية في التبادل المعرفي ذاته؛ فالتفاعل الحضاري سنة إنسانية ثابتة، وإنما تكمن في محاولة تحويل الخصوصيات الدينية والثقافية إلى عناصر هامشية أمام نموذج ثقافي عالمي يرفع شعارات الحرية الفردية المطلقة والاستهلاك المادي والانفصال التدريجي عن المرجعيات الدينية التقليدية[١٢] . وقد أدى هذا التحول إلى بروز حالة من الاغتراب الثقافي لدى بعض الشباب، تمثلت في ضعف الارتباط بالموروث الديني والحضاري، والنظر إلى المرجعية الإسلامية بوصفها عائقاً أمام الحداثة والتقدم، وهي رؤية تأثرت بصورة مباشرة بالمقولات الفلسفية التي نشأت في أوروبا الحديثة عقب الصراع الطويل بين الكنيسة والمؤسسات الفكرية الغربية، ثم جرى تعميمها على مجتمعات تختلف في ظروفها التاريخية والعقدية[١٣]كما إنَّ العولمة الثقافية أسهمت في ترويج مفهوم "المواطنة الكونية" بمعزل عن الخصوصيات العقدية والدينية، الأمر الذي أوجد حالة من السيولة الهوياتية لدى بعض الشباب، وجعل الانتماء الديني في نظر بعضهم خياراً شخصياً قابلاً للتغيير لا مرجعيةً ثابتةً حاكمةً للسلوك والقيم [١٤]ومن ثم فإن التحدي الحقيقي الذي تفرضه العولمة الثقافية لا يتمثل في الانفتاح المعرفي، بل في تحويل هذا الانفتاح إلى أداة لإعادة تشكيل الهوية وإضعاف المرجعيات الدينية والثقافية المستقرة.

ثانياً: الإلحاد واللاأدرية

يمثل الإلحاد المعاصر أحد أخطر التحديات الفكرية التي تواجه الهوية الدينية للشباب، لكونه لا يقتصر على إنكار وجود الخالق سبحانه، بل يتجاوز ذلك إلى بناء رؤية شاملة للكون والحياة تستبعد الدين من المجال المعرفي والأخلاقي والوجودي.والإلحاد في جوهره ليس ظاهرة حديثة؛ فقد عرفته الحضارات القديمة بأشكال متعددة، كما ظهرت بعض صوره في الفلسفات اليونانية القديمة وفي عدد من الحركات الباطنية والغنوصية التي حاولت تفسير الوجود بعيداً عن الوحي الإلهي.[١٥]غير إنَّ الإلحاد المعاصر يختلف عن سابقه في اعتماده على المنجز العلمي والتقني الحديث بوصفه بديلاً عن المرجعية الدينية، ومحاولته تفسير جميع الظواهر الكونية والإنسانية وفق رؤية مادية خالصة تنفي الحاجة إلى الإيمان بالغيب[١٦]أما اللاأدرية فهي اتجاه فكري يقوم على الامتناع عن الجزم بوجود الله أو نفيه، انطلاقاً من الاعتقاد بأن العقل البشري عاجز عن الوصول إلى معرفة يقينية في القضايا الميتافيزيقية، وقد انتشرت هذه النزعة بين بعض الشباب المعاصرين تحت تأثير الخطابات الفلسفية الحديثة التي جعلت الشك المنهجي غاية في ذاته لا وسيلة للوصول إلى الحقيقة.[١٧]وتزداد خطورة الإلحاد واللاأدرية عندما يُقدَّمان للشباب في صورة تحرر فكري أو تمرّد على الموروث، خصوصاً في ظل الانتشار الواسع للمنصات الرقمية التي أتاحت للأفكار الإلحادية الوصول إلى شرائح عمرية صغيرة دون وجود تأهيل علمي كافٍ لمناقشتها ونقدها.ومن الملاحظ أن كثيراً من الشبهات الإلحادية المعاصرة ليست جديدة في مضمونها، بل تعيد إنتاج إشكالات فلسفية قديمة ناقشها علماء الإسلام في مؤلفاتهم العقدية والكلامية، ومن ذلك شبهات الشر والألم، ومشكلة الغيب، وعلاقة العقل بالنقل، وهي قضايا عالجها علماء المسلمين منذ قرون في سياق دفاعهم عن العقيدة الإسلامية[١٨]

ثالثاً: النسبية الفكرية والتشكيك في الثوابت

تُعد النسبية الفكرية من أبرز السمات المميزة للفكر ما بعد الحداثي، وهي تقوم على إنكار وجود حقائق مطلقة أو معايير ثابتة يمكن الاحتكام إليها في الحكم على الأفكار والقيم والسلوكيات.وقد نشأت هذه الرؤية نتيجة تراكمات فلسفية طويلة بدأت بالشك الفلسفي القديم، ثم تطورت مع التيارات الوضعية والوجودية والتفكيكية حتى انتهت إلى اعتبار الحقيقة أمراً نسبياً يتغير بتغير الزمان والمكان والظروف الاجتماعية.[١٩]وفي ظل هذه الرؤية لم يعد الدين يُنظر إليه بوصفه مصدراً للحقيقة المطلقة، بل أصبح مجرد تجربة إنسانية قابلة للنقد وإعادة التفسير والتجاوز، الأمر الذي أدى إلى التشكيك في الثوابت العقدية والأخلاقية والدعوة إلى إخضاعها للقراءات المتغيرة بحسب السياقات الثقافية المختلفة.وقد انعكس ذلك بصورة واضحة على فئة الشباب من خلال انتشار مفاهيم مثل: تعدد الحقائق، وتساوي الأديان، ورفض الأحكام القطعية، وتقديم الرأي الشخصي على النصوص الدينية، وهي اتجاهات تؤدي في نهاية المطاف إلى إضعاف المرجعية الدينية وتحويلها إلى خيار ثقافي لا يختلف عن غيره من الخيارات الفكرية[٢٠]

ولعل أخطر ما تفرزه النسبية الفكرية هو حالة الشك المستمر في المسلمات والثوابت؛ إذ يتحول التشكيك من أداة معرفية للوصول إلى الحقيقة إلى منهج دائم يهدم اليقين ويزعزع الاستقرار الفكري، ومن هنا فإن التشكيك في الثوابت الدينية لا يقتصر أثره على الجانب العقدي، بل يمتد إلى البنية الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع بأسره، لأن القيم تفقد إلزاميتها متى ما فقدت مرجعيتها المطلقة.وبذلك يتضح أن العولمة الثقافية، والإلحاد واللاأدرية، والنسبية الفكرية تمثل أهم التحديات الفكرية المعاصرة المؤثرة في الهوية الدينية للشباب، لما تنطوي عليه من إعادة تشكيل للمرجعيات المعرفية والقيمية، وما تفضي إليه من إضعاف الانتماء الديني وخلخلة اليقين العقدي، الأمر الذي يستدعي دراسة آثارها ومظاهرها العملية في حياة الشباب المعاصرة.

المطلب الثالث: وسائل انتشار التحديات الفكرية في أوساط الشباب

لم تعد التحديات الفكرية المعاصرة تعتمد في انتشارها على الوسائل التقليدية المحدودة، بل وجدت في الثورة الرقمية بيئة مثالية للتوسع والتأثير العابر للحدود والثقافات. وقد أسهمت التحولات التقنية المتسارعة في إعادة تشكيل مصادر المعرفة ومرجعيات التلقي لدى الشباب، حتى أصبحت المنصات الرقمية والفضاءات الافتراضية منافسًا حقيقيًا للمؤسسات التربوية والدينية والثقافية التقليدية، ومن هنا فإن دراسة وسائل انتشار هذه التحديات تمثل مدخلًا ضروريًا لفهم طبيعة تأثيرها في الهوية الدينية للشباب وآليات اختراقها للبنية العقدية والفكرية لديهم.

أولًا: وسائل التواصل الاجتماعي

تُعد وسائل التواصل الاجتماعي من أخطر القنوات المؤثرة في تشكيل الوعي الفكري للشباب؛ إذ أتاحت فضاءً مفتوحًا لتداول الأفكار والمعتقدات والقيم دون ضوابط علمية أو مرجعية معرفية رصينة. فالشباب اليوم لا يتلقون معارفهم من الأسرة أو المدرسة أو المؤسسة الدينية فحسب، بل أصبحوا يستقون جزءًا كبيرًا من تصوراتهم الفكرية عبر منصات رقمية تتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية.وقد ساهمت هذه الوسائل في تسريع انتقال الأفكار الإلحادية واللادينية والنسبية الفكرية من خلال المحتوى المختصر والجذاب الذي يخاطب العاطفة أكثر من مخاطبته للعقل. كما أتاحت لمروجي الشبهات العقدية فرصًا واسعة للوصول إلى فئات عمرية مختلفة دون رقابة علمية أو منهجية.ويزداد أثر هذه الوسائل حين تتحول إلى مصدر وحيد للمعرفة، فينشأ ما يمكن تسميته بـ"الوعي الرقمي البديل" الذي يتشكل بعيدًا عن الأطر العلمية المعتبرة، وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن البيئة الرقمية الحديثة لا تنقل المعلومات فحسب، بل تعيد تشكيل القناعات وأنماط التفكير والسلوك الاجتماعي بصورة تدريجية وعميقة[٢١] كما إنَّ الطابع التفاعلي لهذه الوسائل يجعل الشباب أكثر قابلية للتأثر بالأفكار المخالفة؛ لأنهم لا يكتفون بالتلقي، بل يشاركون في إنتاج المحتوى وإعادة نشره والتعليق عليه، مما يضاعف من سرعة انتشار الاتجاهات الفكرية الجديدة مهما كانت درجة صحتها أو انحرافها.ومن جهة أخرى فإن كثيرًا من التيارات الفكرية المعاصرة استفادت من هذه المنصات في تسويق أفكارها العقدية والفلسفية بصورة مبسطة تتناسب مع طبيعة الجيل الرقمي، وهو ما أدى إلى انتشار واسع للمضامين المرتبطة بالتشكيك الديني والنزعات اللادينية في عدد من المجتمعات الإسلامية.[٢٢]

ثانيًا: المنصات الرقمية والإعلام الجديد

لم يعد الإعلام الجديد مجرد وسيلة لنقل الأخبار والمعلومات، بل أصبح مؤسسة فكرية عالمية قادرة على صناعة الاتجاهات وتوجيه الرأي العام وإعادة بناء المفاهيم الثقافية والدينية. وتتمثل أبرز أدواته في المنصات المرئية، والبودكاست، والمدونات الإلكترونية، والمواقع الفكرية المتخصصة، وتطبيقات البث الرقمي المختلفة.وقد أدى هذا التحول إلى انتقال الشباب من مرحلة "المتلقي" إلى مرحلة "المستهلك الحر للمحتوى"، حيث بات بإمكانه الوصول إلى آلاف المواد الفكرية والفلسفية والدينية خلال لحظات معدودة، وهذه السهولة الكبيرة في الوصول إلى المعرفة لم تُصاحبها دائمًا قدرة نقدية تُمكّن الشباب من التمييز بين الحقائق والشبهات أو بين المعرفة الرصينة والدعايات الفكرية.ويلاحظ الباحث أن كثيرًا من الخطابات الإلحادية المعاصرة لا تعتمد على التأصيل الفلسفي العميق بقدر اعتمادها على الأدوات الإعلامية الحديثة التي تُلبس الأفكار ثوب العلمية والموضوعية، الأمر الذي يجعلها أكثر قدرة على التأثير في المتلقين غير المتخصصين.وقد شهدت العقود الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا في حضور الخطابات اللادينية عبر المنصات الرقمية العالمية، مستفيدة من أدوات الإنتاج الإعلامي الحديثة ومن سهولة الوصول إلى الجمهور الشبابي، حتى غدت بعض هذه المنصات تمارس دورًا ثقافيًا وتربويًا يتجاوز في تأثيره أحيانًا المؤسسات التقليدية[٢٣]كما أنَّ الإعلام الجديد أسهم في إحياء العديد من الأفكار الفلسفية والدينية القديمة التي كانت محصورة في النخب الأكاديمية، مثل النزعات الغنوصية والباطنية والروحانيات البديلة، حيث أعيد تقديمها بصيغ معاصرة تتناسب مع احتياجات الإنسان الحديث ورغبته في البحث عن المعنى خارج الأطر الدينية التقليدية.[٢٤]وقد أفضى هذا الواقع إلى نشوء حالة من التعدد المرجعي لدى الشباب؛ إذ لم تعد المرجعية الدينية هي المصدر الوحيد للفهم والتفسير، بل أصبحت تنافسها مرجعيات إعلامية وفلسفية وثقافية متباينة الاتجاهات.

ثالثًا: المؤثرات الثقافية والفكرية العابرة للحدود

أدت العولمة الاتصالية إلى ظهور فضاء ثقافي عالمي مفتوح تتدفق فيه الأفكار والقيم والرموز بصورة غير مسبوقة، مما جعل الشباب يعيشون في بيئة فكرية تتجاوز الانتماءات المحلية والدينية والقومية.وتتمثل هذه المؤثرات في الإنتاج السينمائي العالمي، والمسلسلات الرقمية، والأدب المترجم، والألعاب الإلكترونية، والمنتجات الثقافية العابرة للقارات، فضلًا عن الحركات الفكرية العالمية التي تستثمر الوسائط الحديثة لنشر رؤاها حول الإنسان والدين والحياة.وقد ساهمت هذه المؤثرات في نقل العديد من التصورات الفلسفية الغربية إلى المجتمعات الإسلامية، ومنها النزعة الفردانية، والنسبية الأخلاقية، والمركزية الإنسانية، وفكرة استقلال الإنسان عن المرجعية الدينية في بناء منظومته القيمية[٢٥]كما برزت بعض الاتجاهات الروحية البديلة التي تمزج بين الفلسفات الشرقية والغنوصيات القديمة والتجارب الصوفية المحرفة، وتُقدَّم بوصفها بدائل معاصرة عن التدين المؤسسي، وقد بينت الدراسات المتخصصة أن هذه التيارات تستند في كثير من أصولها إلى الميراث الغنوصي القديم الذي يقوم على المعرفة الباطنية والتجربة الذاتية بدل الوحي الإلهي والنبوة[٢٦] ومن الملاحظ كذلك أن كثيرًا من هذه المؤثرات لا تُطرح بصيغة صدامية مباشرة مع الدين، وإنما تُقدم في إطار ثقافي أو فني أو إنساني، الأمر الذي يزيد من قدرتها على التغلغل في وعي الشباب بصورة غير محسوسة. ولذلك فإن خطورتها لا تكمن في مضمونها الفكري فحسب، بل في قدرتها على إعادة تشكيل التصورات العقدية والقيمية تدريجيًا.ويمكن القول إنَّ المؤثرات الثقافية العابرة للحدود قد أسهمت في خلق بيئة فكرية عالمية متشابكة أصبح فيها الشاب المسلم يتعرض يوميًا لعشرات الرسائل الفكرية المتناقضة، مما يجعل الحفاظ على الهوية الدينية مهمة أكثر تعقيدًا من أي وقت مضى، ويستلزم بناء مناعة معرفية وعقدية قادرة على التمييز والنقد والاختيار الواعي.وبذلك يتبين أنَّ وسائل التواصل الاجتماعي، والمنصات الرقمية الحديثة، والمؤثرات الثقافية العابرة للحدود تمثل اليوم أهم القنوات الناقلة للتحديات الفكرية المعاصرة إلى فئة الشباب، الأمر الذي يفسر حجم التحولات الفكرية والقيمية التي تشهدها المجتمعات الحديثة، ويمهد للحديث في المبحث الثاني عن الآثار المباشرة لهذه التحديات في الهوية الدينية للشباب.

المبحث الثاني: أثر التحديات الفكرية في الهوية الدينية للشباب وسبل مواجهتها

المطلب الأول: الآثار الفكرية والعقدية للتحديات المعاصرة

إنَّ التحديات الفكرية المعاصرة لا تقف آثارها عند حدود الجدل النظري أو التغير المعرفي المجرد، بل تتجاوز ذلك إلى إعادة تشكيل البنية العقدية والمرجعية القيمية للشباب، بما ينعكس على رؤيتهم للوجود والإنسان والحياة، فكل تحول فكري عميق يترك أثرًا مباشرًا أو غير مباشر في الهوية الدينية، باعتبارها الإطار الناظم لمعتقدات الفرد وقيمه وسلوكه، وقد أفرزت التحولات الفكرية والثقافية المعاصرة جملة من الآثار التي باتت واضحة في أوساط الشباب، من أبرزها ضعف الانتماء الديني، وتصاعد النزعة التشكيكية، وظهور الازدواجية الفكرية والقيمية.

أولًا: ضعف الانتماء الديني

يُعد الانتماء الديني من أهم مقومات الهوية الإنسانية؛ إذ يمنح الفرد شعورًا بالانتماء إلى منظومة عقدية وأخلاقية تضبط رؤيته للعالم وتحدد معايير السلوك والاختيار غير إنَّ التحديات الفكرية المعاصرة أسهمت في إضعاف هذا الانتماء لدى بعض الشباب من خلال تفكيك المرجعيات التقليدية وإحلال المرجعيات الفردية محلها.وقد نشأت هذه الظاهرة نتيجة هيمنة الثقافة المادية التي جعلت النجاح مرتبطًا بالمنفعة والإنجاز المادي أكثر من ارتباطه بالقيم الروحية والأخلاقية، الأمر الذي أدى إلى تراجع حضور الدين في المجال العام والخاص عند بعض الفئات الشبابية، كما ساهمت النزعات الفردانية الحديثة في تعزيز استقلال الفرد عن المؤسسات الدينية والاجتماعية، حتى أصبح التدين عند البعض خيارًا شخصيًا خاضعًا للأهواء والميول الذاتية أكثر من كونه التزامًا عقديًا وأخلاقيًا.ويؤكد علماء الاجتماع الديني إنَّ فقدان المرجعية العقدية يؤدي تدريجيًا إلى فقدان الإحساس بالهوية والانتماء، لأن الإنسان بطبيعته يحتاج إلى إطار معرفي يفسر له الوجود ويمنحه الشعور بالاستقرار النفسي والمعنوي[٢٧]كما إنَّ ضعف الانتماء الديني لا يعني بالضرورة التخلي الكامل عن الدين، بل قد يظهر في صورة تراجع الالتزام بالشعائر، أو ضعف الاعتزاز بالهوية الإسلامية، أو تقديم الانتماءات الثقافية والفكرية الأخرى على الانتماء العقدي، وهي صور تمثل في مجموعها حالة من الوهن الهوياتي الذي يهدد التماسك الفكري للشباب.

ثانيًا: التشكيك بالمعتقدات والثوابت

من أخطر الآثار التي أفرزتها التحديات الفكرية المعاصرة تنامي النزعة التشكيكية تجاه المعتقدات والثوابت الدينية، إذ أصبحت كثير من المسلمات العقدية محل مساءلة ونقد مستمرين تحت شعارات الحرية الفكرية أو النقد المعرفي أو إعادة قراءة التراث والتشكيك بوصفه منهجًا معرفيًا قد يكون أداة للوصول إلى اليقين إذا انضبط بالأسس العلمية، غير أن الإشكال يكمن في تحوله إلى غاية بحد ذاته، بحيث يصبح الشك موقفًا دائمًا من كل

حقيقة دينية أو قيمة أخلاقية، وهنا يفقد الإنسان قدرته على بناء منظومة معرفية مستقرة، وينتقل من البحث عن الحقيقة إلى الارتياب المستمر .وقد حذر علماء الإسلام قديمًا من هذا المسلك؛ لأن الشك إذا استقر في القضايا الكلية للعقيدة أفضى إلى اضطراب الفكر وفساد التصور، ولذلك أكدوا ضرورة الجمع بين العقل السليم والوحي الصحيح في تحصيل المعرفة اليقينية[٢٨]كما ساعدت بعض الاتجاهات الفلسفية الحديثة على تعميم الشك في مصادر المعرفة كافة، بما فيها النصوص الدينية، حتى أصبحت الحقائق المطلقة محل إنكار أو نسبية. وقد انعكس ذلك على الشباب من خلال انتشار التساؤلات الوجودية غير المنضبطة، وإعادة إنتاج الشبهات القديمة في صور جديدة تتناسب مع الخطاب المعاصر .ويُلاحظ إنَّ كثيرًا من الشبهات المنتشرة اليوم لا تقوم على أدلة علمية راسخة، وإنما تعتمد على الإثارة الإعلامية والطرح الانتقائي للمعلومات، مما يجعلها أكثر تأثيرًا في غير المتخصصين من الشباب الذين يفتقرون إلى التأصيل الشرعي والمعرفة العقدية العميقة[٢٩]

ثالثًا: الازدواجية القيمية والفكرية

من النتائج البارزة للتحديات الفكرية المعاصرة ظهور حالة من الازدواجية الفكرية والقيمية لدى بعض الشباب، حيث يعيش الفرد بين منظومتين متباينتين من القيم؛ إحداهما مستمدة من هويته الدينية، والأخرى مستوردة من البيئة الثقافية العالمية المعاصرة.وتنشأ هذه الازدواجية عندما يتلقى الشاب رسائل متناقضة من مصادر مختلفة؛ فالدين يدعوه إلى منظومة أخلاقية محددة، بينما تدفعه بعض الخطابات الثقافية المعاصرة نحو قيم مغايرة تقوم على النسبية المطلقة أو الحرية غير المنضبطة. ومع استمرار هذا التناقض يتكون نوع من الانفصام المعرفي بين ما يؤمن به نظريًا وما يمارسه عمليًا.وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن أخطر ما تسببه العولمة الثقافية ليس مجرد نقل الأفكار، بل خلق حالة من التوتر بين المرجعيات الفكرية المختلفة داخل الفرد الواحد، بحيث يصبح عاجزًا عن تحقيق الانسجام بين معتقداته وسلوكياته[٣٠]وتتجلى هذه الازدواجية في صور متعددة؛ كالفصل بين الدين والحياة، أو الانتقائية في الالتزام بالأحكام الشرعية، أو تبني مفاهيم أخلاقية متعارضة مع الأصول الدينية مع الاستمرار في الانتساب الشكلي للدين، ومع مرور الزمن تتحول هذه الحالة إلى أزمة هوية حقيقية تؤثر في استقرار الشخصية وتماسكها النفسي والفكري.ومن منظور عقدي فإن الهوية الدينية لا تقتصر على مجرد الاعتقاد الذهني، بل تشمل منظومة متكاملة من التصورات والقيم والسلوكيات، ولذلك فإن أي انفصال بين هذه المكونات يؤدي إلى ضعف البناء الهوياتي واختلال التوازن الفكري للفرد.[٣١]وخلاصة القول أنَّ التحديات الفكرية المعاصرة أفرزت آثارًا عميقة في الهوية الدينية للشباب تمثلت في تراجع الانتماء الديني، وتصاعد النزعات التشكيكية، وظهور الازدواجية الفكرية والقيمية، وهي آثار لا تهدد الجانب العقدي فحسب، بل تمتد لتطال البناء النفسي والاجتماعي والثقافي للشباب، الأمر الذي يبرز الحاجة الملحة إلى بناء برامج علمية وتربوية قادرة على تعزيز الهوية الدينية وترسيخ المرجعية الإسلامية في مواجهة هذه التحديات المتجددة.

المطلب الثاني: الآثار السلوكية والاجتماعية المترتبة على تراجع الهوية الدينية

لا تقتصر آثار التحديات الفكرية المعاصرة على الجانب العقدي أو المعرفي فحسب، بل تمتد إلى البنية السلوكية والاجتماعية للفرد؛ ذلك أن الهوية الدينية ليست مجرد منظومة من التصورات الذهنية، وإنما هي إطار مرجعي متكامل يوجّه السلوك ويضبط العلاقات الاجتماعية ويحدد معايير الصواب والخطأ، ومن ثم فإن أي خلل يصيب الهوية الدينية ينعكس بالضرورة على النسق القيمي والسلوكي للفرد والمجتمع. ولعل أخطر ما تفرزه حالة التراجع الهوياتي هو ظهور تحولات قيمية متسارعة، وضعف الإحساس بالمسؤولية المجتمعية، والانبهار بالنماذج الثقافية الوافدة على حساب الخصوصية الحضارية للأمة.

أولًا: التحولات السلوكية والقيمية

تُعد المنظومة القيمية أحد أبرز تجليات الهوية الدينية في حياة الإنسان؛ إذ تتحول العقيدة إلى سلوك، والإيمان إلى ممارسة، والمبادئ إلى أنماط حياة يومية، ولذلك فإن تراجع الوعي الديني يفضي غالبًا إلى اضطراب المعايير الأخلاقية واختلال سلم القيم.وقد أفرزت البيئة الفكرية المعاصرة أنماطًا جديدة من السلوك تقوم على تغليب النزعة الفردية والاستهلاكية والمنفعة الشخصية، حتى أصبحت قيمة النجاح تُقاس في كثير من الأحيان بما يحققه الفرد من مكاسب مادية أو شهرة اجتماعية، لا بما يقدمه من إسهام أخلاقي أو إنساني، وهذا التحول يمثل انتقالًا من المرجعية الدينية إلى المرجعية النفعية التي تجعل المصلحة الفردية معيارًا للحكم على الأفعال.ومن خلال دراسة التحولات الدينية في الحضارات المختلفة يتبين أن ضعف المرجعيات العقدية كان دائمًا مصحوبًا بتحولات أخلاقية عميقة؛ لأن القيم حين تنفصل عن الأساس العقدي تتحول إلى معايير نسبية قابلة للتغيير تبعًا للظروف والأهواء، وقد أشار مؤرخو الأديان إلى أن كثيرًا من التحولات التي شهدتها المجتمعات الغربية الحديثة ارتبطت بانتقال مركز السلطة الأخلاقية من الدين إلى الإنسان ذاته بوصفه المرجع الأعلى للقيم[٣٢] .كما إنَّ انتشار النسبية الأخلاقية أدى إلى تراجع مفهوم الواجب الديني لصالح مفهوم الرغبة الشخصية، فأصبح الحكم على الأفعال يرتبط بدرجة الإشباع النفسي الذي تحققه للفرد لا بمدى توافقها مع القيم الدينية الثابتة.

وهذه النتيجة تمثل في حقيقتها تحولًا جذريًا في بنية الوعي القيمي لدى الشباب.[٣٣] ومن أخطر نتائج هذا التحول نشوء حالة من السيولة الأخلاقية التي تتراجع فيها الحدود الفاصلة بين المقبول والمرفوض، مما يؤدي إلى اضطراب الأحكام القيمية وتراجع سلطة الضمير الديني في توجيه السلوك.

ثانيًا: ضعف المسؤولية المجتمعية

من الخصائص الأساسية للهوية الدينية أنها تربط الإنسان بمجتمعه من خلال شبكة واسعة من الواجبات الأخلاقية والاجتماعية، فالفرد في التصور الديني ليس كيانًا معزولًا، وإنما عضو فاعل في جماعة إنسانية تربطه بها مسؤوليات متبادلة.وعندما تضعف الهوية الدينية تتراجع هذه الروح الجماعية لتحل محلها النزعة الفردية التي تجعل الإنسان أكثر انشغالًا بذاته وأقل اهتمامًا بقضايا مجتمعه. ومن هنا يلاحظ الباحث أن كثيرًا من مظاهر اللامبالاة الاجتماعية المعاصرة ترتبط بصورة أو بأخرى بضعف المرجعية الدينية الحاكمة للسلوك.وقد أثبتت الدراسات المقارنة في تاريخ الأديان أن الأديان الكبرى أسهمت عبر التاريخ في بناء التضامن الاجتماعي وتعزيز قيم التكافل والإيثار والمسؤولية الجماعية، بينما أدت النزعات الفردانية المتطرفة إلى تفكيك الروابط الاجتماعية وإضعاف الشعور بالانتماء المشترك[٣٤] كما أن الخطابات الفكرية المعاصرة التي تركز على استقلال الفرد المطلق وتحرره من جميع المرجعيات التقليدية تُفضي غالبًا إلى تقليص مساحة الواجب الاجتماعي لصالح الحقوق الفردية، فتتحول العلاقات الإنسانية من علاقات قائمة على المسؤولية المتبادلة إلى علاقات تحكمها المصالح والمنافع الآنية.ومن منظور علم الأديان فإن المجتمعات التي تفقد مرجعياتها الدينية المشتركة تواجه غالبًا تحديات تتعلق بتآكل رأس المال الأخلاقي والاجتماعي، لأن الدين لا يؤدي وظيفة تعبدية فحسب، بل يضطلع بدور محوري في ترسيخ الثقة الاجتماعية وتوليد الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين[٣٥]وعليه فإن ضعف الهوية الدينية لا يقتصر أثره على الفرد وحده، بل يمتد إلى البنية الاجتماعية بأسرها من خلال إضعاف قيم التعاون والتكافل والانتماء المجتمعي.

ثالثًا: التأثر بالنماذج الثقافية الوافدة

يُعد التأثر بالنماذج الثقافية الوافدة من أبرز المظاهر الاجتماعية الملازمة لتراجع الهوية الدينية؛ إذ إن الفراغ الهوياتي يدفع الفرد إلى البحث عن نماذج بديلة يستمد منها معايير السلوك وأنماط التفكير وصور النجاح والتميز.وقد شهد العالم المعاصر تدفقًا هائلًا للمنتجات الثقافية العابرة للحدود التي تحمل في مضامينها رؤى فلسفية وقيمية تشكلت في سياقات حضارية مختلفة عن السياق الإسلامي، ومع غياب الحصانة الفكرية الكافية يصبح الشباب أكثر قابلية لاستبطان هذه النماذج وإعادة إنتاجها في حياتهم اليومية.ومن خلال دراسة تاريخ التفاعل بين الأديان والثقافات يتبين أن عمليات التأثر الثقافي لا تكون خطيرة في ذاتها، وإنما تكمن الخطورة في التحول من التفاعل الواعي إلى الذوبان الحضاري الذي يفقد الأمة خصوصيتها العقدية والثقافية، وقد ناقش عدد من الباحثين هذه الظاهرة عند حديثهم عن نشأة الحركات الباطنية والغنوصية التي نشأت أساسًا نتيجة امتزاج عناصر دينية متعددة ضمن إطار فكري واحد.[٣٦]ويظهر التأثر بالنماذج الوافدة اليوم في تبني بعض الشباب لمفاهيم وقيم لا تنسجم مع منظومتهم الدينية، سواء في قضايا الأسرة أو الأخلاق أو معنى الحرية أو مفهوم الإنسان ذاته. ومع تكرار التعرض لهذه النماذج عبر الإعلام الرقمي تتحول تدريجيًا من مجرد أفكار خارجية إلى مكونات داخلية في تشكيل الوعي والسلوك.ومن هنا فإن خطورة التأثر الثقافي لا تكمن في الاقتباس الحضاري المشروع، وإنما في انتقال مركز المرجعية من الهوية الدينية إلى المرجعيات الوافدة، بحيث تصبح الثقافة الأجنبية هي المعيار الذي تُقاس به القيم والتصورات والسلوكيات، وهو ما يمثل أحد أخطر مظاهر التحدي الذي تواجهه الهوية الدينية للشباب في العصر الراهن.

وخلاصة هذا المطلب أنَّ تراجع الهوية الدينية لا ينعكس على الجانب العقدي فحسب، بل يفضي إلى سلسلة من الآثار السلوكية والاجتماعية المتشابكة، تتمثل في اضطراب المنظومة القيمية، وضعف الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع، والانبهار بالنماذج الثقافية الوافدة، وهي نتائج تؤكد أن قضية الهوية الدينية ليست مسألة فكرية مجردة، بل قضية حضارية ترتبط بحماية الإنسان والمجتمع معًا من التفكك والاغتراب وفقدان المرجعية.

المطلب الثالث: آليات تعزيز الهوية الدينية ومواجهة التحديات الفكرية

إنَّ مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة لا تتحقق من خلال ردود الأفعال الآنية أو المعالجات الجزئية، وإنما تقتضي بناء مشروع معرفي وتربوي متكامل يستهدف الإنسان في وعيه وقيمه وسلوكه وانتمائه الحضاري. فالهوية الدينية ليست مجرد منظومة شعائرية أو موروث ثقافي جامد، بل هي إطار مرجعي شامل يوجِّه رؤية الإنسان للوجود والحياة والإنسان، ويمنحه القدرة على التمييز بين الثابت والمتغير، وبين الأصيل والدخيل. ومن هنا فإن تعزيز الهوية الدينية لدى الشباب يستوجب تفعيل جملة من الآليات التربوية والفكرية والإعلامية القادرة على تحصين العقل وإحياء الوعي وتجديد الصلة بالمصادر الدينية الأصيلة.

أولاً: دور الأسرة والمؤسسات التربوية

تُعد الأسرة الحاضنة الأولى لتشكيل الهوية الدينية؛ إذ تبدأ عملية بناء الانتماء العقدي والقيمي منذ المراحل المبكرة من حياة الإنسان عبر التنشئة الاجتماعية والتربية الإيمانية وغرس المعاني الدينية في الوجدان. فالأسرة التي تنجح في بناء علاقة متوازنة بين الأبناء والدين تؤسس شخصية قادرة على مواجهة المؤثرات الفكرية الخارجية بثبات ووعي، بخلاف الأسرة التي تكتفي بالخطاب الوعظي المجرد أو تمارس التناقض بين القول والعمل؛ فإنها تهيئ بيئة خصبة لظهور الشكوك والاضطرابات الفكرية.وقد أشار علماء التربية الإسلامية إلى أن التربية القائمة على الإقناع والحوار أقدر على ترسيخ القيم من التربية القائمة على الإلزام القسري؛ لأن الإيمان الحقيقي يتأسس على الاقتناع والوعي لا على التقليد المجرد، ومن هنا جاءت عناية القرآن الكريم ببناء العقل وإثارة التفكير والتدبر والاستدلال قبل المطالبة بالالتزام العملي.[٣٧]أما المؤسسات التربوية والتعليمية فتتحمل مسؤولية كبرى في تكوين الوعي الفكري للشباب، ولا سيما في ظل التحولات المعرفية الراهنة، فوظيفة المدرسة والجامعة لم تعد مقتصرة على نقل المعلومات، بل أصبحت معنية بتكوين الشخصية النقدية القادرة على تحليل الأفكار وتمييز الصحيح من الزائف، وقد أكدت الدراسات المعاصرة في فلسفة التربية الدينية أن ضعف البناء المعرفي يعد من أهم أسباب الانجذاب نحو الاتجاهات الإلحادية والعدمية المعاصرة[٣٨] كما أن المناهج التعليمية مطالبة اليوم بالانتقال من أسلوب الحفظ والتلقين إلى أسلوب بناء الملكة الفكرية وتعميق الوعي الحضاري، لأن معركة الهوية في العصر الحديث أصبحت معركة أفكار وتصورات أكثر من كونها معركة معلومات ومعارف.

ثانياً: دور الخطاب الديني المعاصر

أصبح تجديد الخطاب الديني ضرورة معرفية تفرضها طبيعة التحديات الفكرية المعاصرة، فالشباب اليوم يواجهون أسئلة فلسفية وعقدية معقدة تتعلق بوجود الله تعالى، والنبوة، والوحي، والدين والعلم، والحريات الفردية، وقضايا الحداثة والعولمة، وهي قضايا لا تكفي في معالجتها الأساليب التقليدية أو الإجابات الجاهزة.كما إنَّ الخطاب الديني المعاصر ينبغي أن يتحول من خطاب الدفاع والانفعال إلى خطاب المبادرة والتأسيس، بحيث يقدم الإسلام باعتباره منظومة معرفية متكاملة تمتلك إجاباتها الخاصة عن قضايا الإنسان والكون والحياة، وقد بين ابن رشد أن الشريعة تدعو إلى النظر العقلي الصحيح، وأن البرهان العقلي السليم لا يتعارض مع الوحي الصحيح.[٣٩]ومن أبرز متطلبات الخطاب الديني المعاصر الاهتمام بالحوار مع الشباب والاستماع إلى أسئلتهم الحقيقية بعيداً عن الاتهام أو التخوين؛ لأن كثيراً من حالات الانحراف الفكري تبدأ من أسئلة لم تجد من يجيب عنها إجابة علمية مقنعة.

ثالثاً: توظيف الإعلام الرقمي في بناء الوعي الفكري

إذا كانت المنصات الرقمية قد تحولت إلى أحد أهم مسارات اختراق الهوية الدينية، فإنها في الوقت نفسه يمكن أن تصبح من أهم أدوات تعزيزها وإعادة بنائها. فالفضاء الرقمي اليوم يمثل البيئة المعرفية الأكثر تأثيراً في تشكيل وعي الشباب واتجاهاتهم الفكرية والثقافية.لقد أدركت الحركات الفكرية المعاصرة بمختلف توجهاتها أهمية الإعلام الرقمي في صناعة القناعات وإعادة تشكيل التصورات، ولذلك كثفت حضورها عبر المنصات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي. ومن ثم فإن غياب المحتوى الديني الرصين عن هذا الفضاء يفتح المجال واسعاً أمام الخطابات المنافسة لاحتلال عقول الشباب ووجدانهم.إنَّ الحاجة اليوم لم تعد مقتصرة على إنتاج محتوى ديني تقليدي، بل تتطلب بناء خطاب معرفي رقمي قادر على الجمع بين العمق العلمي والجاذبية الإعلامية، وبين أصالة المضمون وحداثة الوسيلة. وقد أظهرت الدراسات الحديثة في علم الأديان أن الانتشار الواسع للأفكار اللادينية في البيئات الرقمية يرتبط غالباً بقدرتها على مخاطبة الأسئلة الوجودية بلغة معاصرة أكثر من ارتباطه بقوة حججها العلمية[٤٠] كما إنَّ مواجهة التيارات الفكرية الوافدة تستلزم حضوراً فاعلاً للمتخصصين في العقيدة والفكر والأديان المقارنة داخل المنصات الرقمية، من أجل تفكيك الشبهات وبيان أصولها التاريخية والفلسفية. وقد كشفت دراسات تاريخ الأديان أن كثيراً من الأطروحات المعاصرة المتعلقة بوحدة الأديان أو الغنوصية الحديثة أو الروحانيات البديلة ليست أفكاراً جديدة، وإنما إعادة إنتاج لنظريات قديمة ظهرت في سياقات تاريخية مختلفة[٤١] وبناءً على ذلك يمكن القول إن تعزيز الهوية الدينية في العصر الرقمي يتطلب الانتقال من منطق رد الفعل إلى منطق المبادرة، ومن مجرد التحذير من التحديات إلى صناعة البديل المعرفي القادر على إشباع حاجات الشباب الفكرية والروحية والنفسية. فكلما نجحت المؤسسات التربوية والدينية والإعلامية في بناء وعي نقدي راسخ، ازدادت قدرة الشباب على التمييز بين الحقائق والأوهام، وبين الثوابت الدينية الراسخة والمقولات الفكرية الطارئة، وبذلك تستعيد الهوية الدينية دورها بوصفها مرجعية ضابطة للوعي والسلوك والانتماء الحضاري.

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله تتنزّل البركات، وبحكمته تُوزن الأفكار، وبهدايته تستقيم العقول والقلوب، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، فبلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.وبعدُ؛

فإنَّ هذا البحث قد سعى في رحلة علمية فكرية إلى مقاربة واحدة من أهم القضايا المعاصرة، وهي التحديات الفكرية وأثرها في الهوية الدينية للشباب، وهي قضية لم تعد مجرد نقاش نظري، بل أصبحت واقعًا حيًّا يتجدد مع كل موجة فكرية، وكل تحول ثقافي، وكل فضاء رقمي مفتوح على مصراعيه. وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن الهوية الدينية ليست عنصرًا هامشيًا في حياة الشباب، بل هي مركز التوازن الوجودي الذي يضبط الفكر والسلوك والانتماء.وقد كشفت الدراسة أن التحديات الفكرية المعاصرة لم تعد تقف عند حدود الشبهة الجزئية، بل تجاوزت ذلك إلى بناء أنساق فكرية بديلة، تسعى إلى إعادة تشكيل وعي الإنسان بعيدًا عن مرجعيته الدينية، الأمر الذي جعل مسألة الوعي العقدي والتربوي ضرورة حضارية لا ترفًا فكريًا.

أهم النتائج:

١. التحديات الفكرية المعاصرة تمثل منظومات فكرية متكاملة وليست مجرد شبهات عابرة.
٢. الهوية الدينية تُعد الإطار المرجعي الأعلى الذي يضبط وعي الشباب وسلوكهم.
٣. العولمة الثقافية أسهمت في إذابة الخصوصيات الفكرية وإضعاف الانتماء الديني.
٤. الإلحاد واللاأدرية والنسبية الفكرية من أبرز مظاهر التحول العقدي المعاصر.
٥. وسائل التواصل الرقمي أصبحت القناة الأكثر تأثيرًا في تشكيل الوعي الشبابي.
٦. ضعف المؤسسات التربوية في بناء الوعي النقدي يفتح المجال للانجراف الفكري.
٧. الخطاب الديني بحاجة إلى تجديد في الأسلوب دون المساس بالثوابت.
٨. التحولات السلوكية الناتجة عن ضعف الهوية تؤدي إلى اضطراب القيم الاجتماعية.
٩. الإعلام الرقمي يمكن أن يكون أداة بناء أو أداة هدم بحسب طريقة توظيفه.
١٠. تعزيز الهوية الدينية يتطلب تكامل الأسرة والتعليم والخطاب الديني والإعلام.

اللهم اجعل هذا العمل خالصًا لوجهك الكريم، نافعًا لعبادك، شاهدًا لنا لا علينا يوم نلقاك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر:

القرآن الكريم:

١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
٢. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
٣. الإسلام في مواجهة الفلسفات، أنور محمد الجندي (ت ٢٠٠٢م)، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٤. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م تقريبًا.
٥. الغنوصية نشأتها وصلتها بالفلسفة اليونانية، محمد أحمد ملكاوي، دار البشير، عمّان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٦. الدين الغنوصي، هانس يوناس، ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٧. وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، حمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٨. دفاع عن الإنسان، عبد الوهاب محمد المسيري (ت ٢٠٠٨م)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٩. تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري (ت ٢٠١٠م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
١٠. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت ١٩٩٩م)، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
١١. تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ (ت ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م .
١٢. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
١٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي(ت ٤٥٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م .
١٤. مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
١٥. تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل (ت ١٩٧٠م)، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.
١٦. بعض مشكلات الفلسفة، وليم جيمس (ت ١٩١٠م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٥م.
١٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

١٨.تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ميرسيا إلياد (ت ١٩٨٦م)، ترجمة فريد جبر، دار دمشق، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٩.أديان العالم، هوستن سميث (ت ٢٠١٦م)، ترجمة سعد رستم، دار كلمة، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
٢٠.مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان، مسعود حايفي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٢١.الحركة الغنوصية في أفكارها ووثائقها، بولس الفغالي، دار المشرق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م
٢٢.المدخل إلى دراسة علم الكلام، حسن الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
٢٣.الأديان في العالم الحديث، مجموعة من المؤلفين، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
٢٤.الأديان والمذاهب، مجموعة من المؤلفين، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
٢٥.العالمية: الأخلاق في عالم الغرباء، مجموعة من المؤلفين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

هوامش البحث

[1] ينظر : لسان العرب لابن منظور، ١٦٢/١٤.

[2]ينظر : التعريفات للجرجاني، ص ١٦٩.

[3] ينظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات، أنور الجندي ، ص ٤١.

[4] الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري وناصر العقل، ص ١٧ .

[5] ينظر:الغنوصية نشأتها وصلتها بالفلسفة اليونانية محمد أحمد ملكاوي ، ص ١٢٥؛ الدين الغنوصي هانس جوناس ، ص ٣٧.

[6] التعريفات للجرجاني، ص ٢٥٧ .

[7] سورة الروم: ٣٠ .

[8] ينظر: وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، حمد الزحيلي، ص ٢٤؛ ، دفاع عن الإنسان عبد الوهاب المسيري ، ص ٥٥ .

[9]ينظر: تكوين العقل العربي محمد عابد الجابري ، ص ١١؛ العالمية: الأخلاق في عالم الغرباء، ص ٣٩ .

[10] ينظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ، ص ١٩ .

[11]ينظر: العالمية: الأخلاق في عالم الغرباء، مجموعة مؤلفين، ص٢١؛ الأديان في العالم الحديث، مجموعة من المؤلفين، ص٣٥

[12] ينظر: تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، ص١٥؛ دفاع عن الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص٧٤ .

[13] ينظر: تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ، ٢٧/١؛ في مواجهة الفلسفات، أنور الجندي، ص٨٨.

[14] ينظر: الموجز في الأديان، ناصر القفاري وناصر العقل، ص٣٩ .

[15] ينظر : الملل والنحل، الشهرستاني، ٣/٢؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٧٠/١ .

[16] ينظر : دفاع عن الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص١١٨؛ الإسلام في مواجهة الفلسفات، أنور الجندي، ص١١٢.

[17] ينظر : المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٥٤/٢؛ الموسوعة الفلسفية، نخبة من العلماء، ٢٤/١.

[18] ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص٥٨ .

[19] ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، ٦٣/١؛ بعض مشكلات الفلسفة، وليم جيمس، ص١٢١ .

[20] ينظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٨٨٥/٢؛ الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، القفاري والعقل، ص٥٢.

[21]ينظر : تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، ص: ١٥-١٨.

[22] ينظر :الأديان في العالم الحديث، مجموعة من المؤلفين، ص: ٢٢٣-٢٢٦.

[23] ينظر:الأديان والمذاهب، مجموعة من المؤلفين، ص: ٤١-٤٣.

[24] الغنوصية وتاريخ الأديان، ديفيد جي روبرتسون، ص: ٣٧-٤١.

[25] ينظر : العالمية: الأخلاق في عالم الغرباء، مجموعة من المؤلفين، ص: ٢٢-٢٨ .

[26] ينظر:الدين الغنوصي، هانس جوناس، ص: ٣١-٣٥؛الحركة الغنوصية في أفكارها ووثائقها، بولس الفغالي، ص: ١٩-٢٤.

[٢٧] ينظر : وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، حمد الزحيلي، ص٢٥-٢٧.

[٢٨] ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص٩٩-١٠٢.

[٢٩] ينظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري وناصر العقل، ص١٧-٢٠ .

[٣٠] ينظر: دفاع عن الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص٧٣-٧٧.

[٣١] ينظر: المدخل إلى دراسة علم الكلام، حسن الشافعي، ص٣١-٣٤ .

[٣٢] ينظر: تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، مرسيا إلياد، ٤١٢/٣ .

[٣٣] الأديان والمذاهب، مجموعة من المؤلفين، ص٥٧ .

[٣٤] أديان العالم، هوستن سميث، ص١٨-٢١ .

[٣٥] مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان، مسعود حايفي، ص١٠٤-١٠٦.

[٣٦] ينظر: الغنوصية نشأتها وصلتها بالفلسفة اليونانية، محمد أحمد ملكاوي، ص١١٢-١١٤ .

[٣٧] ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤١٤/١.

[٣٨] وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، حمد الزحيلي، ص٤٧.

[٣٩] ينظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد، ص٩٩ .

[٤٠] الأديان في العالم الحديث، مجموعة من المؤلفين، ص٢١٣ .

[٤١] الغنوصية وتاريخ الأديان، ديفيد جي روبرتسون، ص٣٨؛ مدخل إلى دراسة تاريخ الأديان، مسعود حايفي، ص١٧١.